خطبة الأسبوع

العَقْلُ والنَّقْل

(نسخة للطباعة)

قناة الخُطَب الوَجِيْزَة
https://t.me/alkhutab

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ إِلَيه، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْد: فَأُوْصِيكُمْ ونَفْسِي بِتَقْوَى الله ﷻ، وَالِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ والسُّنَّة، والمُسَارَعَةِ إلى الجَنَّة! ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾.

عِبَادَ الله: لَقَدْ خَلَقَ اللهُ الإنسان، ومَيَّزَهُ عَنْ سَائِرِ الحَيَوَان، بِالعَقْلِ والبَيَان؛ فالعَقْلُ هُوَ مَنَاطُ التكليف، وأَحَدُ **الضَّرُوْرَاتِ** الَّتِي جَاءَ الإسلامُ بِحِفْظِهَا؛ فَحَرَّمَ اللهُ شُرْبَ الخَمْرِ؛ حِفْظًا لِلْعَقْلِ[1]؛ قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ومِنْ فَوَائِدِ العَقْلِ: التَّفَكُّرُ في آيَاتِ الله الكَوْنِيَّة، والتَّدَبُّرُ في آيَاتِهِ الشَّرْعِيَّة؛ قال ﷻ: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

---

[1] انظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، د. محمد الجيزاني (236).

وكَلَّفَ اللهُ العَقْلَ بالإيْمَانِ، والتَّسْلِيْمِ والإِذْعَانِ، لِأَحْكَامِ السُّنَّةِ والقُرآن![2] قال الزُّهْرِيُّ: (مِنَ اللهِ العِلْم، وعلى الرَّسُولِ البَلَاغ، وعَلَيْنَا التَّسْلِيم)[3].

ومِنْ تَكْلِيْفِ اللهِ لِلْعَقْلِ: الإِيْمَانُ بِالغَيْبِ: وهُوَ كُلُّ ما غَابَ عَنِ العُقُوْلِ والأَنْظَارِ، مِمَّا ثَبَتَ في الكِتَابِ والسُّنَّة؛ وقَدِ ابْتَلَى اللهُ عِبَادَهُ بِالإِيمانِ بِالغَيْبِ؛ لِيَعْلَمَ ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ﴾.

ولا تَصِلُ الهِدَايَةُ إلى القَلْبِ، إِلَّا بَعدَ الإِيمانِ بِالغَيب! ﴿ذلِكَ الكِتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

ولَوْ كَشَفَ اللهُ الغَيْبَ لِعِبَادِه؛ لَسَقَطَتْ حِكْمَةُ التَّكْلِيْفِ، و﴿لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾.

وَمِنْ تَكْلِيْفِ اللهِ لِلْعَقْلِ: التَّسْلِيْمُ لِلنَّصِّ الشَّرْعِيِّ: فَالعَقْلُ السَّلِيْم، لا يَتَقَدَّمُ على الشَّرْعِ الحَكِيْم، قال الطَّحَاوِيُّ: (**ولَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ، إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ والاسْتِسْلَام**)[4].

---

[2] انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي (50).

[3] حلية الأولياء، أبو نعيم (3/ 369).

[4] انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (1/ 231).

وإذا سَلَّمَ الإنْسَانُ عَقْلَهُ لِلشَّرْعِ، اسْتَرَاحَ مِنَ التَّكَلُّفِ[5]، وعَصَمَهُ مِنَ التَّخَبُّطِ! قال بَعْضُهُمْ: (مَنِ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ ضَلَّ، وَمَنِ اكْتَفَى بِعَقْلِهِ زَلَّ!)[6].

ومِنْ ضَعْفِ الدِّيْنِ، وهَشَاشَةِ اليَقِيْنِ: إِعْلَاءُ العَقْلِ البَشَرِيِّ فَوْقَ الدَّلِيْلِ الشَّرْعِي؛ ومَنْ قَدَّمَ عَقْلَهُ على الكِتَابِ والسُنَّة؛ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْفِتْنَة! ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وأَفْعَالُ اللهِ كُلُّهَا: مَبْنِيَّةٌ على الحِكْمَةِ؛ **فَإِنْ ظَهَرَتْ** لِلْعَقْلِ تِلْكَ الحِكْمَة: ازْدَادَ إِيْمَانًا ويَقِيْنًا، **وإِنْ خَفِيَتْ:** أَذْعَنَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا. قال ابنُ الجَوْزِي: (رَأَيْتُ فِي العَقْلِ نَوْعَ مُنَازَعَةٍ لِلْتَّطَلُّعِ إلى مَعْرِفَةِ جَمِيعِ حِكَمِ اللهِ؛ فَقُلْتُ له: اِحْذَرْ أَنْ تُخْدَعَ يا مِسْكِين! فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَكَ بِالدَّلِيلِ القَاطِعِ: حِكْمَةَ الصَّانِعِ؛ فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَ بَعْضُ الحِكَمِ؛ فَلِضَعْفِ إِدْرَاكِكَ، فَمَنْ أَنْتَ حَتَّى تَطَّلِعَ بِضَعْفِكَ على جَمِيعِ حِكَمِه؟! فَإِنَّكَ بَعْضُ مَوْضُوْعَاتِه، وذَرَّةٌ مِنْ مَصْنُوْعَاتِه)[7].

والعَقْلُ الصَّرِيْحُ، لا يُخَالِفُ النَّقلَ الصَّحِيحَ[8]؛ فَكِلاهُما مِنَ اللهِ، فـ(العَقْلُ) خَلْقُهُ، و(النَّقْلُ) خَبَرُهُ وأَمْرُه؛ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

---

[5] وذلك أنَّ العَقْلَ يَتَقَاصَرُ عَنْ إِدْرَاكِ عَالَـمِ الشَّهَادَةِ؛ فَكَيْفَ يُحَاوِلُ فَهْمَ عَالَـمِ الغَيْبِ!

[6] أدب الدين والدنيا، الماوردي (303).

[7] صيد الخاطر (156) بتصرف

[8] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (7/ 665).

ولَوْ فُرِضَ وُجُودُ التَّعَارُضِ بَيْنَ العَقْلِ والنَّقْلِ؛ فَهُوَ تَعَارُضٌ في الظَّاهِرِ، **وَمَرَدُّهُ إلى سَبَبَيْنِ**:

1- إِمَّا أَنَّ **الدَّلِيلَ** لم يَثْبُتْ.

2- وإِمَّا أَنَّ **العَقْلَ** لم يُدْرِكْ.

ومَنْ قَدَّمَ العَقْلَ على النَّقْلِ، وادَّعَى أَنَّ عَقْلَهُ أَحْكَمُ مِنَ الشَّرْعِ؛ فَقَدِ اتَّبَعَ هَوَاه، واحْتاجَ عَقْلُهُ إلى عَقْل! قال العلماء: (**مَنْ لَمْ يَحْتَرِزْ بِعَقْلِهِ: هَلَكَ بِعَقْلِهِ! ودَوَاءُ هَذَا: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ حَكِيمٌ في كُلِّ مَا خَلَقَهُ وشَرَعَه**)[9].

ورَأْسُ الأَدَبِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ: تَلَقِّي خَبَرَهُ بِالتَّصْدِيقِ والتَّسْلِيم، دُونَ مُعَارَضَةِ خَيَالٍ يُسَمِّيهِ **مَعْقُولًا!** ودونَ أنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ آرَاءَ النَّاسِ، وَزُبَالَاتِ أَذْهَانِهِمْ![10] قال ﷺ: (**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**)[11].

---

[9] الفتاوى السعدية، السعدي (52-55)، صيد الخاطر، ابن الجوزي (386). بتصرف

[10] مدارج السالكين، ابن القيّم (2/ 366).

[11] رواه ابن أبي عاصم في السنة (1/ 12)، والبغوي في شرح السنة (1/ 213)، وصححه النووي في الأربعين النووية (41).

وأَوَّلُ مَنِ اعْتَرَضَ بِعَقْلِه إِبْلِيْس! عِنْدَمَا رَأَى فَضْلَ النَّارِ على الطِّيْن، فَأَعْرَضَ عَنِ السُّجُود[12]. قال ابنُ عَبَّاسٍ ﷺ: (**أَوَّلُ مَنْ قَاسَ بِرَأْيِهِ إبليس! والْقِيَاسُ فِي مُخَالَفَةِ النَّصِّ مَرْدُودٌ؛ فَمَنْ قَاسَ الدِّيْنَ بِرَأْيِهِ؛ قَرَنَهُ مَعَ إِبْلِيسَ**)[13].

ومِنْ عَلامَاتِ العَقْلِ الصَّحِيح: تَحْقِيقُ التَّوْحِيد؛ فَهُوَ يُحَرِّرُ الإِنْسَانَ: مِنَ الشِّركِ والخُرَافَاتِ، والبِدَعِ المُحْدَثَات، والمعاصي والمُنْكَرَات؛ وانْظُرْ إلى **بَعْضِ** مَنْ يُوْصَفُ بِالعَقْلِ مِنْ غَيرِ المسلمين، كَيْفَ تَذْهَبُ عُقُوْلُهُم، ويَعبُدونَ قَبرًا أو بَقَرَةً أو صَنَمًا! قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾.

ولَمَّا اغْتَرَّ الكُفَّارُ بِعُقُوْلِهِمُ البَشَرِيَّةِ، وقَدَّمُوْهَا على شَرِيْعَةِ رَبِّ البَرِيَّة، هَوَتْ بِهِمْ إلى **النَّارِ**، وبِئْسَ القَرار! وهُنَاكَ يَتَّهِمُونَ عُقُوْلَهُم، ويَعْتَرِفُونَ بِذُنُوْبِهِم! ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾. قال القُرطُبي: (**دَلَّ هذا على أَنَّ الكَافِرَ لَمْ يُعْطَ مِنَ العَقْلِ شَيْئًا!**)[14].

---

[12] قال ابن الجوزي: (وقد رَأَيْنَا خَلْقًا كثيرًا، يَقْدَحُونَ في الحِكْمَةِ؛ لأنهم يُحَكِّمُونَ العُقُول، ويَنْسَوْنَ أَنَّ حِكمةَ الخَالِقِ وراءَ العُقُولِ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تُفْسِحَ لِعَقْلِكَ في تَعْلِيل، وقُلْ لَهُ: "سَلِّمْ تَسْلَم"، فَإِنَّكَ لا تَدْرِي غَوْرَ البَحْرِ، إِلَّا وقَدْ أَدْرَكَكَ الغَرَقُ قَبْلَ ذَلِكَ! وهَذَا أَصْلٌ عَظِيم، مَتَى فَاتَ الآدَمِيُّ، أَخْرَجَهُ الاِعْتِرَاضُ إلى الكُفْرِ!). صيد الخاطر (377). باختصار

[13] تفسير القرطبي (7/ 171). بتصرف

[14] الجامع لأحكام القرآن (18/ 212).

أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا، وأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوْهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة

الحَمْدُ لله على إِحْسَانِه، والشُّكْرُ لَهُ على تَوْفِيْقِهِ وامْتِنَانِه، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُه.

عِبَادَ اللهِ: مِنْ كَمَالِ العَقْلِ: **النَّظَرُ فِي العَوَاقِبِ**، وتَقْدِيْمُ الآخِرَةِ البَاقِيَةِ، على الدنيا الفَانِيَة؛ فَإِنَّهُ لما ضَعُفَتْ عُقُولُ أَكْثَرِ النَّاسِ؛ صَارُوا ﴿**يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا**﴾.

والدُّنيا دارُ مَنْ لا دارَ له، وَهَا يَجْمَعُ مَنْ لا عَقْلَ له![15] قال تعالى: ﴿**وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾.

******

* **اللَّهُمَّ** ارْزُقْنَا عُقُوْلًا رَاجِحَةً، وقُلُوْبًا خَاشِعَةً، وأَلْسِنَةً ذَاكِرَةً.

* **اللَّهُمَّ** أَعِزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والمُشْرِكِيْن، وارْضَ **اللَّهُمَّ** عَنِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْن، الأَئِمَّةِ المَهْدِيِّين: أَبِي بَكْرٍ، وعُمَرَ، وعُثمانَ، وعَلِيّ؛ وعَنْ بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ والتابِعِين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إلى يومِ الدِّين.

* **اللَّهُمَّ** فَرِّجْ هَمَّ المَهْمُوْمِيْنَ، وَنَفِّسْ كَرْبَ المَكْرُوْبِين، واقْضِ الدَّينَ عن المَدِيْنِين.

---

[15] انظر: الزهد، أحمد بن حنبل (132).

* **اللَّهُمَّ** آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُوْرِنَا، وَوَفِّقْ (وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ) لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِمَا لِلْبِرِّ والتَّقْوَى.

* **اللَّهُمَّ** أنتَ اللهُ لا إلهَ إلَّا أنتَ، أنْتَ الغَنِيُّ ونَحْنُ الفُقَراء؛ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ ولا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِيْنَ، **اللَّهُمَّ** إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا، فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا.

* عِبَادَ الله: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾.

* فَاذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوْهُ على نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ ﴿**وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾.

.....

قناة الخُطَب الوَجيْزَة
https://t.me/alkhutab